يهود أميركا والدولة اليهودية

" نحن نطلب أن تكون فلسطين مستقلة لا فارق فيها بين المذاهب والأجناس ..ولا نريد أن تكون فلسطين اليوم أو بعد الآن أو في أي وقت لابسة شكل وطن يهودي " .

ليس سرا أن قيام الحركة الصهيونية في أوروبا، قبل أكثر من مائة عام، أثار معارضة شديدة في تجمعات يهودية عديدة في العالم، وبينما كانت محافل يهودية ترفض قيام الدولة اليهودية في فلسطين لأسباب دينية أصولية فان أوساطا علمانية رفضتها حرصا على مصلحة اليهود في العالم وحرصا على المبادىء الديمقراطية التي آمنوا بها في مطلع القرن العشرين مع نشوء الدولة القومية الديمقراطية في أوروبا التي بدأت تتبلور بعد الحرب العالمية الأولى.

الوثيقة التي نشير إليها تدين الصهيونية من أفواه اليهود أنفسهم، وتلفت النظر إلى أمرين جوهريين وهما، أولا: ما حذرت منه هذه الأصوات الواعية وقعت فيه أسرائيل وما زالت متورطة به، والثاني أن الصهيونية فرضت نفسها على اليهود أنفسهم كحركة عنصرية وليست حركة تحرر قومي كما يدعي الصهيونيون من اليمين واليسار على حد سواء.

في ذلك الوقت أبرزت الصحافة العربية هذه الأصوات لدعم حجتها في مناهضة الصهيونية والدفاع عن مستقبل أرض فلسطين ومن يرجع الى هذه الصحف يجد العديد من هذه الوثائق التي تنفع اليوم أيضا، وفي تنقيب بأوراق وأرشيف احدى الشخصيات الفلسطينية الوطنية، هو جورج كزما ابن مدينة بيسان، عثرت على مقال نشرته جريدة " مرآة الغرب " الأميركية في عددها ١٤٣ الصادر في ٥ آذار ١٩١٩ وفيه تنقل عن جريدة التايمز النيويوركية نص عريضة " رفعها نائب كاليفورنيا الى الرئيس ولسون يحتج فيها باسم السواد الأعظم من اليهود الأميركيين على الحركة الصهيونية " وقد وقع على العريضة ٣١ رجلا من كبار اليهود.

قبل أكثر من ثمانين عاما رفض " السواد الأعظم " من يهود أميركا أيديولوجية الصهيونية من أساسها وعلى رأسها فكرة اقامة الوطن القومي لكل اليهود في فلسطين، وجاء في العريضة: " نرفع أصواتنا بالانذار والاحتجاج على طلب الصهيونيين توحيد اليهود وجعل

"السواد الأعظم" من يهود أميركا في عام ١٩١٩ فهم وعد بلفور بغير ما فهمته وفسرته القيادة الصهيونية في ذلك الوقت فقد كتب المعارضون: "نحن نقاوم الصهيونيين لأنهم هم أنفسهم قد تجاوزوا نص بروغرامهم وفسروا تصريح المستر "بلفور" بانشاء وطن لليهود في فلسطين بأنه لا يعني فقط اليهود المضطهدين بل اليهود في العالم كله ولا يوجد أي يهودي في العالم يعتبر نفسه ناجيا من هذه الورطة".

فلسطين وطنا لهم. فان هذا الطلب مغاير للتاريخ لأن فلسطين لم تعد وطنا لليهود منذ ألفي سنة...ولما كان العالم داخلا في طور جديد وسيقيم حكومة ديمقراطية في كل مكان فاننا ننبذ فكرة الصهيونية القائلة بجعل فلسطين وطن الشعب اليهودي".

وفي هذه العريضة يفند يهود أميركا الادعاء الصهيوني القائل بأن مشروع اقامة الدولة اليهودية في فلسطين يأتي لانقاذ اليهود من الاضطهاد والملاحقة في كل مجتمعات العالم، حيث يكتبون في العريضة" ان الصهيونية كانت نتيجة الاضطهادات العنيفة التي وقعت على اليهود في روسيا ورومانيا ولكن هؤلاء يتراوح عددهم من ستة ملايين الى عشرة ملايين وفلسطين تضيق عن هذا العدد ولهذا يستحيل أن تصير وطن اليهود مهما تحسنت أحوالهم لأنها محدودة المساحة، فمسألة اليهود في روسيا ورومانيا يجب أن تحل بانالتهم الحقوق الوطنية كغيرهم من السكان".

يهود أميركا في ذلك الوقت رفضوا تأسيس وطن " على أساس الدين أو الجنس"، "وأضافوا: "وهذه أميركا وفرنسا وسويسرة وكل الشعوب الراقية مؤلفة من أجناس وأديان مختلفة ولكن مجدها مرتكز على أساس الحرية التي تجمع الكل في دائرة واحدة فانشاء حكومة يهودية تحصر اليهود في دائرة ضيقة حرجة في حين أن كلمة اليهودية لا تعني شيئا في ذاتها وأن مزج الدين بالسياسة على أية صورة كانت تعود بنا الى الوراء ألفي سنة".

"السواد الأعظم" من يهود أميركا في عام ١٩١٩ فهم وعد بلفور بغير ما فهمته وفسرته القيادة الصهيونية في ذلك الوقت فقد كتب المعارضون: " نحن نقاوم الصهيونيين لأنهم هم أنفسهم قد تجاوزوا نص بروغرامهم وفسروا تصريح المستر "بلفور" بانشاء وطن لليهود في فلسطين بأنه لا يعني فقط اليهود المضطهدين بل اليهود في العالم كله ولا يوجد أي يهودي في العالم يعتبر نفسه ناجيا من هذه الورطة".

في عام ١٩١٩ معظم يهود أميركا وكان يبلغ عددهم حوالي ثلاثة ملايين ونصف رفضوا المشروع الصهيوني والوطن القومي لليهود ودعوا الى اقامة دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين حيث أنهوا عريضتهم بالقول: " نحن نطلب أن تكون فلسطين مستقلة لا فارق فيها بين المذاهب والأجناس وأن تكون تحت حكومة ديمقراطية وأن تكون تحت عناية دولة راقية تحميها من كل اعتداء ولا نريد أن تكون فلسطين اليوم أو بعد الآن أو في أي وقت لابسة شكل وطن يهودي".

هذه الحجج التي رفعت قبل ثمانين عاما ليست تكتيكية تأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية وموازين القوى بل هي موضوعية تقوم على قاعدة أخلاقية وديمقراطية، ومع أن "السواد الأعظم" من يهود أميركا تنازل عنها الا أنها تظل نافعة وسارية المفعول ليس في الحوار العربي الاسرائيلي فقط بل في الصراع الاسرائيلي الاسرائيلي وحتى الصهيوني الصهيوني أيضا.

سلمان ناطور

بنّ غوريون يعلن قيام إسرائيل.